□

□

عبد العظيم فنجان بين الواقعية والسوريالية

□ميثم ايراني

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية اللغات والثقافات

□الدولية/ جامعة الأديان والمذاهب/ إيران

m.irani@urd.ac.ir

صادق فتحي دهكردي

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الإلهيات في مجمع

□فارابي/ جامعة طهران/ إيران

المستخلص

أجاد الشاعر العراقي عبد العظيم فنجان الجمع بين المذهبين المختلفين في شعره، فقصائده مزيج من الواقعية والسوريالية. حيث إنه يصف علاقة الإنسان بالعالم الباطن واللا وعي من جهة، وينظر إلى عالم الواقع وما يجري فيه من قضايا سياسية واجتماعية من جهة أخرى. فإن الظاهر الذي يسيطر على قصائد الشاعر هو ظاهر يبشر بتالشي تأثيرها بعد قراءتها مباشرة، ولكن عند الخوض فيها نجد بأنها توحي بعالم واقعي مليء بالحياة والحركة. ومن هذا المنطلق اختيرت أشعاره لدراسة اجتماع السوريالية والواقعية فيهاحاولت هذه الدراسة مناقشة تجلي ملامح الواقعية في شعر الشاعر ضمن وصفه لظروف بلده العراق إبان نظام صدام حسين وبعد سقوط ذلك النظام سنة ٢٠٠٣. إضافة إلى ما ذُكر فيه من قضايا اجتماعية وما يخص العادات القبلية والسلوك الأخلاقية. إلى جانب التطرق للمذهب السوريالي في أشعار فنجان وذلك ضمن مضامين الحلم والجنون والكتابة الآلية. وفي نهاية المطاف وصلنا إلى القاسم المشترك بين المذهبين وهو استخدام الرمز عبر السرد والمونولوج. ولكن الرمز عند فنجان، رمز معقد وغامض جدا، فمثلا اختار البيت والوردة والصباح رمزا عن التربية الأسرية والجمال والسلام والحرية،، ولم نر استخدامها بهذا المعنى عند أديب آخر، وهذا ما يصعب من فك شفرتها. وأما الشجرة فهي غالبا رمز للوطن أينما وجدت في قصائده وتحاول هذه الدراسة باتباع المنهج المتكامل الذي استخدم فيه الوصف والتحليل بناء على التاريخ وعلم الاجتماع بنظرة نقدية أن تتوصل إلى نتائج تستحق التأمل. ومنها أن عبد العظيم فنجان في الجمع بين السوريالية والواقعية ينظر من منظر الإنسان بما هو وهم وعقل، وإحساس وتعقل، فبقلبه يصور عالم اللا شعور وما فيه من آلية وجنون وأحلام، وبعقله يرى الواقع ويتأمل في وقائع العالم الخارج وما يجري فيه من المصائب والفجائع ويربط بينهما.**الكلمات الرئيسة:** عبد العظيم فنجان، الشعر، الواقعية، السوريالية، المدارس الأدبية

Abstract

The Iraqi poet Abdul Azim Finjan excelled at combining the two different sects in his poetry. His poems are a mixture of realism and surrealism. It describes a person's relationship with the inner world and unconsciousness on the one hand, and looks at the world of reality and the political and social issues taking place in it on the other hand. The phenomenon that dominates the poet's poems is an appearance that heralds the disappearance of their influence immediately after reading them, but when we delve into them, we find that they suggest a realistic world full of life and movement. From this standpoint, his poems were chosen to study the combination of surrealism and realism in them. This study attempted to discuss the manifestation of the features of realism in the poet's poetry within his description of the circumstances of his country, Iraq, during the regime of Saddam Hussein and after the fall of that regime in 2003, in addition to the social issues mentioned in it and what concerns tribal customs and moral behavior. In addition to addressing the surrealist doctrine in Finjan's poetry, within the contents of dream, madness, and mechanical writing. In the end, we arrived at the common denominator between the two schools of thought, which is the use of symbols through narration and monologue. But the symbol in a cup is a very complex and ambiguous symbol. For example, he chose the house, the rose, and the morning as a symbol of family education, beauty, peace, and freedom. We have not seen it used in this sense by another writer, and this is what makes it difficult to decipher. As for the tree, it is often a symbol of the homeland wherever it is found in his poems. By following the integrated approach in which description and analysis were used based on history and sociology with a critical outlook, this study attempts to reach results worth contemplating. Among them is that Abdel Azim is a cup of combining surrealism and realism, looking from the perspective of man with what is illusion and reason, feeling and rationality. With his heart, he depicts the world of the subconscious and the mechanism, madness and dreams in it, and with his mind he sees reality and contemplates the facts of the outside world and the calamities and tragedies that happen in it, and connects them between them.

Keywords: Abdul Azim Fenjan, Poetry, realism, Surrealism, Literary schools.

ا. مقدمة

إن السوريالية والواقعية مذهبان يختلفان اختلافا جذريا، فالواقعية هي مدرسة تستمد مضمونها من الواقع وتسعى إلى تصوير الواقع وكشف أسراره وإظهار خفاياه وتفسيره، وهي تهتم بتصوير الواقع ونقله كما هو وتسعى أحيانا إلى وضع الاقتراحات المناسبة لعلاج المشكلات، والواقعية بشكل عام هي مدرسة تركز على واقع المجتمع وحياة عامة الشعب بعيدا عن صور الخيال (الخطيب، ٢٠١٩: ص ٢٤٢). وأما السوريالية مدرسة حطمت الحدود بين الواقعية والخيال ومزجتهما معا، وهي ثورة من خلال المشاعر والحلم والجنون، وأصحابها يعوّلون على القدرة اللامتناهية للأحلام والخيالات، وتميزوا في نقل الأشياء من مكانها وزمانها لتوضع في مكان وزمان مغاير، تبدو فيه غير معقولة تماما

(قاسم، ٢٠٠٠: ص ٨٠).ولكن عبد العظيم فنجان قد أجاد الجمع بين هذين المذهبين المختلفين في شعره دون أن يتسم شعره بالتناقض أو التكلف، فهو يمزجهما مزجا لا يشم منه القارئ رائحة التصنع، وكأنه طبيعة شعره. حيث قصائده تتردد بين المذهبين السوريالي والواقعي، فهو بوصفه شاعرا يصف العالم من منظر عالمه النفسي ويصور علاقة الإنسان بالعالم الباطن والمعنويات والأحاسيس واللا وعي واللا شعور والأحلام، وإلى جانب هذا الأمر ينظر إلى عالم الواقع وما يجري فيه من قضايا سياسية واجتماعية ومعيشية، ويصف موقع الإنسان من العالم الحاضر بكل ما يحتويه من معالم، فيجمع الرؤيا العذبة بالواقع المر في شعره. ولهذا السبب اخترنا أشعار عبد العظيم فنجان محورا لدراسة اجتماع السوريالية والواقعية.وناقشت هذه الدراسة المذهب السوريالي في أشعار فنجان من جهة، وذلك ضمن مضامين الحلم والجنون والكتابة الآلية، ولكن بشكل عابر حيث من المشهور أنه شاعر سوريالي بكل ما تحتويه هذه المدرسة من ملامح وسمات وميزات.ومن جهة أخرى حاولت دراسة تجلي ملامح الواقعية ضمن وصف الشاعر لظروف بلده العراق إبان نظام صدام حسين وما كان فيه من ظلم وتعسف وحروب ومعارضة ونضال. وأيضا حنينه إلى الوطن بعد هجرته القسرية، إضافة إلى ما حل بالعراق بعد سنة ٢٠٠٣ إثر الاحتلال الأمريكي وسقوط نظام صدام، من إرهاب ونهب وقتل على الهوية.وما عدا الملامح السياسية للواقعية تطرق عبد العظيم أيضا لبعض القضايا الاجتماعية وما يخص العادات القبلية المذمومة والسلوك الأخلاقية في المجتمع ووجه النقد إلى أي خلل توارثته الأجيال. وفي نهاية المطاف وصلنا إلى القاسم المشترك بين المذهبين وهو استخدام الرمز. ولكن الرمز عند فنجان، رمز معقد وغامض جدا، حيث على المتلقي أن يبذل جهدا كبيرا لاستخراج المرموز عنه.واتبعنا في هذه الدراسة المنهج المتكامل الذي يستخدم الوصف والتحليل بناء على التاريخ والأدب بنظرة نقدية، فإن هذا المنهج له القدرة على تحليل النصوص الأدبية ونقدها بشكل دقيق وكامل. فبعد التطرق لسيرة عبد العظيم فنجان الذاتية ونشأته وحياته وأدبه، وبعد مراجعة سريعة لبعض ملامح السوريالية في شعره، سنركز على ملامح الواقعية في أشعاره، وذلك بنظرة نقدية، متطرقين إلى أشكال التعبير عنده.

أسئلة البحث

١. لماذا استطاع عبد العظيم فنجان أن يستخدم الملامح الواقعية في أشعاره السوريالية؟
٢. ما هو تأثير المذهب السوريالي على أسلوب التعبير عن الواقعية؟
٣. ما هو الأسلوب المستخدم لدى عبد العظيم فنجان في أشعاره؟

فرضيات البحث

١. إن الحياة القاسية التي عاشها فنجان ابتداءً من مطاردته من قبل النظام البعثي وهجرته القسرية، وظروف الإرهاب التي عاشها بعد ٢٠٠٣ أجبرته أن لا يتمكن من الكتابة السوريالية الخالصة، بل استعان بملامح الواقعية في قصائده، لكي يعبر عن مكبوت قلبه.
٢. وجود المذهب السوريالي سبب عدم تمكن فنجان للتعبير عن ملامح الواقعية بوضوح، ولذا نجدها محاطة بضباب من السوريالية، ويتطلب اكتشاف الواقعية في قصائده جهدا مضاعفا من قبل القارئ ليستخرجها من بين سطور قصائده ومجموعاته الشعرية.
٣. استخدم عبد العظيم فنجان أسلوب الرمز الذي هو الرابط المشترك بين السوريالية والواقعية إضافة إلى السرد والمونولوج مبتعدا عن سائر الأساليب التعبيرية والأشكال الشعرية.

الدراسات السابقة

وفيما يتعلق بالدراسات المسبقة فقد بحثنا في المجلات المحكمة والمواقع الإلكترونية التي تحتوي على الرسالات الجامعية والدراسات العلمية، ولم نجد أي دراسة تجمع بين السوريالية والواقعية، ولو بشكل عابر، ومن جهة أخرى فلم نجد أيضا أي دراسة أو بحث علمي يخص الشاعر عبد العظيم فنجان رغم كونه من أبرز معالم قصيدة النثر والأدب السوريالي في العراق المعاصر، ولقد أقيمت على شرفه كثير من الندوات وكُتبت عنه عشرات المقالات في الصحف والمجلات الأدبية، وله أكثر من ست مجموعات شعرية.

٢. عبد العظيم فنجان .. سيرته الذاتية والأدبيه ولد الشاعر عبد العظيم فنجان سنة ١٩٥٥ للميلاد في مدينة الناصرية (بن حمزة، ٢٠١٠: ص ١٨). كان لوالده مقهى عمل الشاعر فيه منذ طفولته، وكان يقع في النقطة الأبعد عن القوات الأمنية والحكومية، ولذا إضافة لتجمع الشعراء والأدباء فيه أصبح ملاذا لكل مخالف وممنوع، فتجد فيه أنواع المنشورات السرية ضد النظام آنذاك، ويتواجد فيه المتورطون بالسياسة، الأمر الذي كوّنت لدى الشاعر علاقة بالسياسة (قيس، ٢٠١٤)أحب عبد العظيم فنجان التمثيل والإخراج السينمائي، ولذا بعد إكمال الدراسة الثانوية، قدّم طلبا للانتماء إلى أكاديمية الفنون الجميلة في بغداد، واجتاز اختبار التمثيل، ولكن تم رفضه بسبب عدم انتمائه لحزب البعث

العراقي. ولأنه كان متفوقا في الدراسة الثانوية، اضطر النزول لرغبة والده والتسجيل في كلية الطب بجامعة بغداد، ولكن ما لبث حتى ترك دراسة الطب (عبد الكريم، ٢٠١٦: ص ٨) وانشغل بالشعر والأدب.هاجر الشاعر مع أسرته إلى إيران سنة ١٩٩٤. وكانت هجرة قسرية إثر مضايقات الأمن والمخابرات العراقية آنذاك (جوان، ٢٠١٤)، وهكذا بدأ حياة طويلة بعيدا عن وطنه الذي طالما تغنى به، وتنقّل بين مدن وبلدان مختلفة (فنجان، ٢٠١٢: ص ٦). وبعد سنوات طوال تمكن أخيرا من العودة إلى العراق مرة أخرى، وذلك بعد سقوط نظام صدام حسين سنة ٢٠٠٣، ولكنه لم يعد إلى الناصرية، بل استقر في مدينة كركوك.للشاعر نشاط واسع في الصحافة وترأس تحرير صحيفة "المحور" (الأسدي، ١٣٨٨: ص ١١١). واجتماعيا هو يرفض السلطة الذكورية على المجتمع ويدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والحريات، وينادي بحقها في الحب والحرية والزواج (عبد الكريم، ٢٠١٦: ص ٨).كان الوافدون إلى مقهى فنجان خليطا يضم الرسام والشاعر والممثل إضافة إلى غيرهم من أصحاب المهن والهوايات. وفي هذا المناخ تعلم الكتابة، وكتب أول قصيدة له في الثانية عشرة من عمره (قيس، ٢٠١٤)، واستمر بالكتابة حتى نشرت له مجلة أسفار في صيف ١٩٩٣ عددا لا بأس به من القصائد حيث لاقت صدى واسعا بين الجمهور، واقترح عليه الشاعر "جان دمو" (أحد رموز جماعة كركوك الأدبية) أن يواصل النشر ويدافع عن نموذجه الجديد (جوان، ٢٠١٤). للشاعر عدة مجموعات شعرية طُبعت في بغداد وبيروت وعمان. وهي: "أفكر مثل شجرة" و"الحب حسب التقويم البغدادي" و"الحب حسب التقويم السومري" و"كيف تفوز بوردة" و"كمشة فراشات" و"الملائكة تعود إلى العمل".

٣. عبد العظيم فنجان .. سوريالية إن السوريالية، مدرسة فنية وأدبية تهدف إلى التعبير عن العقل الباطن. وتحاول إلغاء الواقع الخارجي وإقامة الواقع الداخلي على أنقاضه والاعتداد بعالم اللاوعي والأحلام والهلوسات. ويحاول أصحاب هذه المدرسة أن يصلوا إلى سر العالم عن طريق الخيال والحلم واللاشعور (قاسم، ٢٠٠٠: ص ٨٠). وتميزوا في نقل الأشياء من مكانها وزمانها لتوضع في مكان وزمان مغاير تبدو فيه غير معقولة تماما (ميشيل، ١٩٧٣: ص ٣٤).اهتمت السوريالية بالمضمون وليس بالشكل ولهذا تبدو غامضة ومعقدة وإن كانت منبعا فنيا لاكتشافات رمزية لا نهاية لها وتحمل مضامين فكرية بحاجة إلى الترجمة من قبل الجمهور. فالظاهر السوريالي يخفي خلفه حالة نفسية داخلية. وركز السورياليون على نظريات فرويد _رائد التحليل النفسي_ وبنوا عليها بنيان آرائهم (بروبني، ٢٠١٨: ص ٥٢).يعتبر "أندريه بريتون" رائد المدرسة السوريالية، ورغم نشأتها الفرنسية استطاعت خلال ثلاثة عقود أن تطغو على الأدب الغربي لتنتقل في نهاية العقد الرابع من القرن العشرين إلى سوريا ولبنان وبالتالي إلى الوطن العربي. وكان أبرز السورياليين العرب "أورخان ميسر" الذي لُقب برائد السوريالية في الأدب العربي (مقدسي، ٢٠١٣: ص ٥)، وأدونيس، ونجيب محفوظ، وسركون بولص، وأنسي الحاج (بروبني، ٢٠١٨: ص ٤٤)اشتهر عبد العظيم فنجان بين النقاد كشاعر سوريالي، وهو يؤكد على كونه شاعرا سوريالياً، وما إن تتصفح مجموعاته الشعرية، حتى تتطاير الملامح السوريالية من كل قصائده وكلماته، ونحن في هذه الدراسة لا نريد أن نؤكد على ما هو أكيد، ولذا على سبيل المثال ولا الحصر، سنذكر مقاطع عشوائية من قصائده التي تؤكد على نصه السوريالي وأسلوبه الذي ينتمي _دون ريب_ إلى هذه المدرسة، لننتقل بعدها إلى الملامح الواقعية التي _عادة ما_ لا تنسجم مع الملامح السوريالية:"جاء حضورك ليزيدك غيابا، كأن الخفاء هو العلن، كأن السر هو ناصية التجلي، وكأني لم أكن تائها في متاهة نفيك [...] أرى إليك تكتبين وجهي في المرايا، وتأمرينها أن تبتلع وجهي" (فنجان، ٢٠١٦: ص ٦٩)فجميع الصور أعلاه لا يمكنها أن تصدر إلا من نص سوريالي بامتياز، هذه النصوص التي تغرق في عالم التناقضات، حيث يجتمع الغياب مع الحضور، والخفاء مع العلن، والسر مع التجلي، إضافة إلى سمة الجنون التي تسيطر على مثل هذه النصوص، والتي فيها يكتب الشخص رسالة لنفسه، وكأنه في عالم الأحلام تتحول الكتابة فجأة إلى وجه حقيقي يظهر في المرآة، وما يلبث حتى يعطي روحا لتلك المرآة حتى تبتلع الوجه.كتابات عبد العظيم فنجان بشكل عام مزيج بين السوريالية والرومانسية، قد صُبت في قالب قصيدة النثر، وهكذا مزج الشاعر بين الحب والجنون:"قتلت من أحب ومن لا أحب، لاستخلص لك حبا لم يحبه أحد من قبل، حتى أنني غزلت خيطا من الجنوب لأخيط بدلة تعزلني عن الناس، وعن العزلة [...] فقد قابلت نفسي في قلبك، وقابلت قلبي في نفسك، حتى اختلط عليّ الأمر، فصرت شاعرا." (فنجان، ٢٠١٣: ص ١٨)وهكذا يولد الشعر السوريالي، إنه يولد عبر اللا مكان واللا زمان، حيث يمتزج ما لا يُمزج، وذلك بفعل الجنون، ولا تجد ما يشير إليه الشاعر في العالم الحقيقي ولا حتى باستخدام علم البيان أو البديع، والشاعر يصبح شاعرا عندما يختلط عليه كل شيء.من أشهر ملامح السوريالية هي الكتابة الآلية حيث تنتج عن التدفق الشعري بعيدا عن الوعي، "الكتابة الآلية هي الكتابة العفوية، غير المدروسة، التي تفلت من الإكراهات، الآتية من العقل الرتيب والفكر النقدي والمواضعات وتحرر من اليومي وعوائقه وتدفع الكاتب للخروج من أناه المألفوة إلى فضاء آخر" (أدونيس، ١٩٩١: ص ١٣٣) حيث لم ير القارئ _الذي اعتاد الأساليب الواضحة في سائر الأساليب الشعرية_ سوى مجموعة

من العبارات المبعثرة التي لا يربطها شيء:"قلة هم أولئك الذين يحفرون أنفاقا، في أرض السهاد، لتهريب أحلامهم، كذلك هم قلة أولئك الذين يلملمون أطراف ثياب الماء، في جرار الشطوط، التي نسيها نهر الأمل تجف، وهو يغير مجراه، فيما هم يكسرون النايات، لينطلق العصفور من قلب الخوذة." (فنجان، ٢٠٠٩: ص ٥٥)ففي المقطع أعلاه _والذي نرى مثله العشرات في مجموعات فنجان الشعرية_ لا نجد أي علاقة مألوفة أو حتى علاقة مجازية تربط بين كسر الناي وانطلاق العصفور من قلب الخوذة، ومن البديهي أن ليس للماء ثياب كي يلملمها، وإذا لملمها فلما يفعل هذا العمل وهو السبب الرئيس للبلل. وهكذا نرى غموض الصورة، وانطلاق المفردات دون وعي، وهذه هي أهم ميزات الكتابة السوريالية حيث يطلق السوريالي عنان أفكاره لتسترسل من تلقاء نفسها دون قيد أو شرط.فوجود هذه الأساليب والتقنيات ليست غريبة أو عجيبة في نص سوريالي، بل هي ما تصنعه، وبما أننا _كما قلنا سابقا_ لا نود إثبات سوريالية قصائد الشاعر عبد العظيم فنجان، فنكتفي بما ذكرناه من أمثلة، ولو قليلة، لنصل إلى ما هو غير اعتيادي في شعره، ألا وهو وجود ملامح وسمات تنتمي للمدرسة الواقعية وذلك في نص سوريالي.

٤. عبد العظيم فنجان .. واقعيا برزت الواقعية في عصر النهضة وإثر تطور العلاقات الاجتماعية والسياسية. حيث تغيرت النظرة إلى الفن، فلم تعد مهمته حمل الإنسان إلى عالم مثالي، بل خدمة مصالحه الأرضية وتحسين ذاته كإنسان. ويجسد الأدب الواقعي حقيقة الحياة وواقعها (بيتروف، ٢٠١٢: ص ٩ و١١). وبما أن الشاعر جزء من المجتمع يعيش كغيره تجارب واقعية، ويمثل العصر الذي عاش فيه (فضل، ١٩٨٩:ص ٥٥_٥٩)ولأن الشعر يمكنه أن يكشف عن واقع الحياة ويرسم الخطوط التي تؤدي إلى الكرامة الإنسانية فيعتبر من الأدوات التي تُستخدم لتوعية الشعوب ضد إرادة الطغاة (سعدون زاده، ١٣٨٨: ص ٥٢). ففي الواقعية هناك علاقة متبادلة بين الشعر والواقع، فليس الأدب مجرد صدى للتغييرات الاجتماعية، وإنما هو أيضا من أهم عوامل التأثير في المجتمع (فضل، ١٩٨٠: ص ٣٠ و٣١).تعتبر القصص الشعبية في العصور الوسطى والتي كانت تصف العلاقات البدائية والبسيطة تمهيدا لما سُمي فيما بعد بالواقعية في الآداب الأوروبية الغربية (بيتروف، ٢٠١٢: ص ٨). ولكن أخذت الواقعية تهيمن على كل شيء لتتربع على عرش الأدب والفن مع منتصف القرن التاسع عشر. وكانت فرنسا وإنجلترا وروسيا سباقة إلى اكتشاف المنهج الواقعي في الإبداع (الطيب، ٢٠٠٥: ص ٣). لتنتشر بعدها في الولايات المتحدة وألمانيا ودول أخرى في العالم لتنتقل من هناك إلى العالم العربي (فضل، ١٩٨٠: ص ١٨ و١٩).وأما في العالم العربي فارتبط الشعر بالحياة العربية ارتباطا وثيقا، وواكب تطوراتها عبر العصور (خمخام، ٢٠١٦: ص أ). فعرف الأدباء والنقاد العرب مختلف الاتجاهات الواقعية ونشأت معارك نقدية بين عدد من النقاد والأدباء حول مفهوم الأدب وغايته وذلك لأنهم لم يجدوا في المذهب الرومانسي ما كانوا يطمحون إليه، وتحديدا في محاربة الاستعمار والاستغلال السياسي والتركيز على مظاهر الفقر وما شابه ذلك (شلبي، ٢٠٠٥: ص ٥٦).آمن الواقعيون بالعلم والديمقراطية وحتمية تغيير المجتمع. كما رفضوا الروح الأكاديمية اللصيقة بالإبداعات الكلاسيكية، وعبروا عن حياة العمال والفلاحين والشرائح الاجتماعية الفقيرة، فجاءت موضوعاتهم معبرة عن تنوع الحياة وتشعبها. واختار الواقعيون موضوعات جديدة، بعيدة كل البعد عن موضوعات الكلاسيكيين وموضوعات الرومانسيين. كما تبنوا أساليب جديدة في الإنشاء والتعبير (الطيب، ٢٠٠٥: ص ٣).تتميز هذه المدرسة بخصائص جوهرية تجعل دراستها منطلقا لإثارة كثير من المسائل الفكرية والفنية، منها:

١. أنها من أطول المذاهب الأدبية عمرا، وأشدها حيوية، فرغم أنها عاصرت الرومانسية وورثتها وشهدت مولد كثير من المدارس والجماعات، ولكنها مازالت تتطور ولم تفقد قدرتها على التجدد.

٢. أصبحت الواقعية ذات صبغة عالمية شاملة ولم تختص بفترة زمنية أو مكان محدد أو مضامين خاصة. فالواقعية تجاوزت جميع الحدود الإقليمية والتاريخية (فضل، ١٩٨٠: ص ٥ و٦).

٣. لن تنتمي الواقعية إلى طبقة اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية معينة، بل "أنها تقبض على الحياة بأكملها كجمرة ساخنة وتعكس في مرآتها بأمانة وصدق" (المصدر نفسه: ص ١٥).

٤. من أهم خصائص الواقعية هي قدرتها على التحول من المذهب إلى المنهج (المصدر نفسه: ص ٦)اشتهر عبد العظيم فنجان بقصائد الحب ومن فرط تعلقه بالحب، لديه مجموعتان شعرية تحمل عنوان "الحب"، ولكن عندما يُسأل عن قصائده في هذا الشأن يجيب بأنها "ليست وليدة الحب وحده أو التأمل وحده، وإنما هي نتاج تجربة حياة شائكة، [...] غوص عميق في محنة العصر، بعد تمزق كبير في الذات وفي المجتمع" (جوان، ٢٠١٤) وهذه المقولة للشاعر هي دلالة على أن الحب الذي لا يفارق أشعاره، هو رمز للواقع وأحداثه وملامحه ونابع من تجربة واقعية في الحياة.وربما قد يظن القارئ أن القصيدة التي يكتبها فنجان هي للمتعة فحسب، وتبشر بتلاشيها أو تلاشي تأثيرها بعد قراءتها مباشرة؛ ولكن بالدخول إلى أعماق القصيدة يكشف العكس، حيث تبشر بعالم واقعي مليء بالحياة والحركة. حيث يرى الشاعر أن الدافع

للكتابة عنده هو توجيه صفعة قوية لمنشدي الحروب ومسببي الألم للإنسان، ويرى بأنه لم يستسلم لهم بل يحاول جاهدا أن يقاومهم من خلال شعره (فنجان، ٢٠١٢: ص ٥)إنه لم يستسلم للأحداث التي أحاطت بالعراق ما بعد ٢٠٠٣، بل حاول أن يخنق الهواء على مروجي الحروب الأهلية والطائفية (قيس، ٢٠١٤)، ولهذا يصرح في لقاء مع وكالة "عين العراق" أن الحب حسب التقويم البغدادي _والذي هو عنوان أحد دواوينه_ هو الحب حسب تقويم الحرب في العراق، فبغداد هنا رمز الحرب على العراق وتحديدا بعد ٢٠٠٣، حيث عصفت الحرب الأمريكية من جهة والفتنة الطائفية ووجود القاعدة وداعش من جهة أخرى (الباسم، ٢٠١٨). وفي هذه النظرة للشاعر أيضا دلالة واضحة على منهج واقعي يختبئ خلف كل قصائده رغم عدم ظهوره صراحةً.ومن هذا المنطلق تشير الشاعرة آمال إبراهيم إلى نظرة فنجان للقصيدة الحديثة، حيث يعتبرها مجموعة مواقف ويؤكد على أنها ليست غرضا واحدا كالمديح والرثاء أو الغزل (المدى، ٢٠١٤: ص ١٧). فلذا يعتقد شاعرنا بأن "ينبغي حماية الشعر من خطر الاختناق الذي يعاني منه على يد التصور الخاطئ، إذ هو ليس تلاعبا بالكلمات، لأن هذا يقذفه إلى خارج حقل الفكر الإنساني، ويحوله إلى مجموعة من المفاهيم المجردة التي يعمل ضدها أصلا. مهمة الشعر هي تغيير العالم"! (عبد الكريم، ٢٠١٦: ص ٨)يُعتبر العمل الأدبي نتاجا إنسانيا يُعايش الواقع ويتفاعل معه، هذا الواقع الذي يمثل حلقة من القيود، وفرضا للحصار وكبتا للطموحات والأحلام، مما يجعل الإنسان يثور ويتمرد على الواقع وقوانينه، بغية الوصول إلى أهدافه وأحلامه، لذا فلا ريب في أن تتداخل إشكالات الواقع مع رؤى وأحلام الفرد مما يُنشئ صراعا بين الرغبة والقيد. وهذا الصراع سرعان ما يُنقش على جسد العمل الأدبي، الذي هو ثمرة هذا التلاحم بين الواقع والحلم. حيث "يمثل الواقع بالنسبة للقصيدة، ذلك الأساس الصلب الذي ترتكز عليه رؤى الشاعر قبل انفلاتها من قبضته ولجوئها عالم الحلم الذي يمثل لها بانوراما فسيحة من الحرية وكسر لقيود الواقع" (خمخام، ٢٠١٦: ص ٤١). وهذا بالتحديد ما نشاهده في كتابات فنجان.ومن جهة أخرى فالتعبيرية، خاصية شعرية ترتبط بالامكانات العقلية والشعورية وهي على عكس التخييلية والرمزية. فالشعر التجريدي على عكس الشعر التعبيري يتميز أساسا بتحطيم الموضوع فلا يستقطب الشحنات العاطفية والتجليات التصويرية بطريقة ملموسة، وهكذا تحوم بالقصيدة مشاعر ضبابية كعمود دخان تلتف حوله القصيدة، ولا يمكن للقارئ أن يمسكه، على عكس القصيدة التعبيرية التي عوّدت متلقيها على أن تحمل في طياتها مؤشراتها السياقية، لكن يظل "إضمار الحكاية" السمة المميزة الواضحة للقصيدة التجريدية، ويظل القارئ الذي تعود على شعرية الذكر يتساءل عن الموضوع بدل أن يكتشفه (فضل، ١٩٩٥: ص ٣١_٣٣). وهذا الذي حاولنا أن نفعله تجاه قصائد فنجان، أي كشف الموضوع بدلا عن التساؤل العقيم.

٥-٢-١. ملامح الواقعية في شعره رغم أن بعض النقاد يرون نفور فنجان عن الواقع وطيرانه في عالم الوهم (الفواز، ٢٠١٥)، ولكن يرى البعض الآخر بأن فنجان لم يهرب من الواقع بتاتا، حتى وإن كان الوصول إلى الواقعية من خلال قصائده أمرا صعبا. فشاعرنا اختار هذا الأسلوب في التعبير لأنه يرى أنه الطريق الأمثل والسلاح الأفضل في مواجهة الكراهية والعنف في الوقت الراهن (المدى، ٢٠١٤: ص ١٧). وأما من الملامح الواقعية التي تجلت في قصائد فنجان السوريالية يمكننا الإشارة إلى مايلي:

٥-٢-١-٠. البيئة الأمنية إبان البعث كما ذكرنا سابقا وُلد فنجان سنة ١٩٥٥، وفي أيام دراسته الابتدائية التي استمرت لغاية ١٩٦٧ كان يتردد على مقهى والده، وفي هذه الفترة بالتحديد شهد العراق عدة أحداث مهمة كانت لها دور في تاريخه. ففي ١٤ تموز ١٩٥٨ استطاع عبد الكريم قاسم الإطاحة بالحكم الملكي وتأسيس أول جمهورية عراقية، ولكن ما لبث حتى حدث انقلاب عليه وأعدِم سنة ١٩٦٣ ليتولى عبد السلام عارف الحكم. وخلال حكم عبد السلام أيضا شهد العراق عدة انقلابات منها انقلاب سنة ١٩٦٤ وانقلاب سنة ١٩٦٥، واللتان لم يثمرا، وفي هذه الفترة أيضا اشترك العراق مع سائر الدول العربية في الحرب ضد الكيان الصهيوني، الحرب التي باءت بالفشل هي الأخرى، وأخيرا _وليس آخرا_ قُتل عبد السلام عارف إثر سقوط طائرته في ظروف غامضة.كل ما ذُكر أعلاه من سوء الوضع الأمني وحروب وانقلابات كان السبب في هروب الجنود من الخدمة العسكرية، لاجئين إلى أماكن مختلفة ليرتاحوا فيها، وكان مقهى والد عبد العظيم أحد هذه الأماكن، فيشير عبد العظيم إلى هذا الحدث في قصيدته "sun flower" ضمن ديوان "كيف تفوز بوردة؟" قائلا:

"وجدت السبيل إلى مقهاه [أبي]، حيث كان يجلس الجنود الهاربون من الثكنات." (فنجان، ٢٠١٤:ص ١٢)يذكر الشاعر هذا المقطع بشكله الخام دون أي تلاعب أو زخرفة، حيث يذكر هذه الجملة دون أن يلجأ إلى أي صناعة أدبية أو بلاغية، فحقيقة كان هناك جنود هاربون يجلسون في مقهى والده. ولكنه يشير إلى هذا الحدث _الذي تختبأ خلفه برهة تاريخية_ بعد أن يقص قصة بحثه عن "قوت القلوب" (أي التصوف)[١] وفشله في الوصول إلى الغاية التي أرادها له والده، وكأنما يريد القول بأن لا يمكن الوصول إلى الغايات في ظل الحروب والانقلابات، ولهذا يُكمل قائلا:"كنت أريد أن أضع الحقيقة بين يديه المتعبتين مِن حفر الأنفاق في السجون" (المصدر نفسه: ص ١٢)فالسجن

هنا لم يكن سجنا حقيقيا، بل هو رمز للكبت والظلم الذي يعيشه الشعب في ظل حكوماتها التي لا تعرف سوى القمع. وحفر الأنفاق هو رمز للنضال والسعي وراء الحرية التي طالما افتقدها العراق وشعبه.والجدير بالذكر هو أن الدعاة للسوريالية _التي ينتمي إليها فنجان_ يرون بأن "الشعر هو أقل أنواع الفنون حاجة إلى الارتباط بالزمان والمكان" و"على الشاعر الحق أن يتناول من مظاهر العصر أكثرها ثباتا وديمومة، المظاهر التي لا تفقد دلالتها في المستقبل" (أدونيس، ١٩٨٦: ص ١٠)، ولكن هذه المقاطع لفنجان هي وصف لمشاهد تعود إلى طفولته، أي إنها مرتبطة بزمان ومكان لقد انتهيا منذ أمد، وهذا الحنين إلى الماضي وإلى مقهى هو رمز لوطن ضيعه يُعتبر هو الآخر من الملامح المواقعية التي سنتناولها في مكانها.وعودة للسجن، ففي الحياة الحقيقية هو إما مكان لمجرم ارتكب ذنبا فسُجن ليكفّر عنه، وإما مكان يُلقى فيه المناضل والثائر إثر جور السلطات الظالمة وبالتالي سيكون رمزا لجرائم النظام الحاكم. أما في الأدب الثوري والواقعي، فالسجن هو ضمن النموذج الثاني لما ذكرناه، ومن هذا المنطلق نقرأ "كتفي صارت سياجا" ضمن أفكر مثل شجرة:

"من فرط العزلة سمعت ضجيج أصابعي؛
جاورت نوافذ يحجبني العراء عن قضبانها.
من فرط العزلة..
العشب الأبيض نبت على لحية الحديقة،
وكتفي صارت سياجا..." (فنجان، ٢٠٠٩: ص ٩)

استخدم فنجان أسلوب السرد في هذه القصيدة أيضا، ودون أن يذكر اسما للسجن بدأ بذكر ملامحه مازجا إياها بوصف حاله حيث يقضي عمره خلف قضبان السجن. لم نجد سبب سجن الشاعر في هذه القصيدة ولكننا بمراجعة فكر الشاعر عن طريق سيرته يمكننا أن نكتشف بأن ذلك يعود لمخالفته للسلطات، ومن بعض الدلالات كـ"بياض لحيته" يمكننا أن نعرف بأن مدة إقامته في السجن طويلة، وكلمة العزلة التي تشير بصراحة إلى زنزانة انفرادية. لا توجد أية إشارة في سيرة فنجان الذاتية إلى سجنه في العالم الحقيقي، ولكن هذه القصيدة بإمكانها أن تكون لسان حال للمناضلين في وطن الشاعر، وبما أنه يعتبر نفسه متحدثا باسمهم يصف السجن وكأنه هو الذي كان خلف قضبانه.

ومن جانب آخر عندما نجد قائدا أو حاكما ظالما فسيكون أمام الشعب خياران، إما أن يثور وينتفض ضد الظلم ليخلص نفسه ويتحرر، وإما أن يسكت ويستمتع بضعفه. فالشعب الذي لا يقاوم ولا يتحرك لانقاذ نفسه يُصبح كالعاجز أو المشلول الذي مهما بذل جهدا فربما يمكنه أن يحرك أحد أطرافه بصعوبة، ومن هذا المنطلق يقول فنجان في أول مقطوعة من مجموعته الأولى "أفكر مثل شجرة":

"أقصى ما أستطيع حمله،
هو يدي.." (المصدر نفسه: ص ٦)

فيستخدم الشاعر أسلوب "المنولوج" للتعبير عن هذا الملمح الواقعي المؤلم، والذي هو الآفة الأساسية للشعوب والذي يحول دون مقارعة الظلم والحصول على أدنى الحقوق والحريات. ونذكر هنا بأن أسلوب المونولوج أو الحوار مع النفس هو أحد أنواع الحوار الذي لا يشترط فيه مشاركة شخص آخر وبما أنه يُلقى من طرف واحد فهو نشاط أحادي (مرعي، ٢٠٠٧: ٦٠).

٥-٢-١-٠. الحرب في الفترة الزمنية التي عاش فيها عبد العظيم فنجان، شهد العراق حروبا عدة: منها الحرب العربية_الإسرائيلية والتي شارك فيها العراق، وحربا العراق على إيران والكويت، وحرب أمريكا ضد العراق. ورغم عدم وجود أية إشارة ضمن سيرة الشاعر إلى مشاركته في أي من هذه الحروب، ولكن بحسب سنّه إبان حربي العراق على إيران والكويت حيث كان عمره يتراوح من ٢٧ سنة لغاية ٣٦ سنة، وبحسب المعلومات الموجودة عن العراق آنذاك، حيث كان على كل شاب أكبر من ١٨ سنة (سوى الطلاب) أن يلتحقوا بجبهات القتال، يمكننا القول بأن الشاعر _أغلب الظن_ عاش تجربة الحرب عن كثب، ورأى ما رأى فيها، وفي بعض قصائده دلالة على هذا الأمر:

"أكنس عن عتبة بابي الغبار
ليجلس قلب العالم المثخن بالجراح
إذ يعود من المعركة شاحبا،
غير عابئ بـ... مِن أين جاء هذا القائد بجيوشه،
أو ذاك النسر بأسراه،

فالملاك أو الشيطان فكرة ضرورية للبعض،

أما أنا فقد رأيتُ ولن أخبر أحدا." (فنجان، ٢٠٠٩: ص ٢١)

فهذا المقطع من قصيدة "أغنية لماذا فتحت الباب؟" يشير بوضوح إلى حرب العراق على إيران، فيتطرق الشاعر بدايةً إلى "معركة" يعود منها المقاتل "مثخن بالجراح"، وهنا يُطرح سؤال لدى القارئ والمتلقي هو: أي معركة؟ فنبدأ بالبحث عن شواهد تدل على هذه الإجابة لنتعرف على المعركة، وأول ما نجده في النص هو أن المعركة دارت بين "قائد" و"نسر". أما بالنسبة لمفردة "القائد" فليس فيها دلالة معينة على شخص دون آخر، ففي العالم العربي والإسلامي هناك كثير من القواد، بداية من جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم والإمام الخميني وغيرهم من الشخصيات المؤثرة، ولكن "النسر" فيدل على البلدان العربية بشكل عام، وذلك منذ اتخاذه من قبل صلاح الدين الأيوبي كشعار له، وأما البلدان التي اتخذت من النسر شعارا لها فهي محدودة، ومن أشهرها العراق (أبو خليل، ٢٠٠٣: ص ٦٥ و٧٣ و٨٥ و١٠٧)فلغاية الآن تأكدنا بأن إحدى أطراف المعركة هو العراق وذلك لسببين، أولا أن النسر هو شعار العراق، وثانيا الحديث يدور حول معركة حضر فيها الشاعر. وبالبحث عن دلالات أخرى، نرى استغراب الشاعر من وجود جيوش للقائد الذي يقف أمام النسر، وهذا الاستغراب يتعارض مع بعض الحقائق التي نعيشها، حيث من سمات أي قائد حربي هي أن تكون له جيوش، فلماذا هذا الاستغراب؟ إذن القائد لم يكن قائدا حربيا، بل ولأن لم يمض على استلامه زمام القيادة سوى أشهر عدة، كان يظن البعض بأنه لا يملك حتى جنديا واحدا، وإذا به يفاجئ العالم بجيش عظيم من الشباب المؤمن بقضيته، شباب يبذل كل شيء ليرد المعتدي عن أرضه، ولم يكن هذا القائد سوى الإمام الخميني قائد الجمهورية الإسلامية إبان الحرب العراقية الإيرانية، ومما يقوي هذا الرأي أن العراق لم يحارب أي قائد قوي، فأمير الكويت هرب بمجرد دخول القوات العراقية إلى الكويت، وأما أمريكا وأسرائيل فكانتا هما المعتديتان ولا تتناسب سماتهما مع الوصف الذي ذكره الشاعر في تكملة القصيدة. وكوصف مكمل للنسر، فليس له سوى الأسرى، وجيشه هم مجموعة من الأسرى أجبروا على الانضمام إلى ساحات القتال لكي لا تتأذى أُسَرُهم، ولكي لا يُعتقلوا ولا يُعدموا ولا يتم تعذيبهم بأقسى أساليب التعذيب، وهذا هو حال الجيش العراقي بالتحديد.وبعد هذا الوصف يستخدم فنجان أسلوب "الطي والنشر" ليشير إلى أن القائد المقصود هو "ملاك" والنسر المذكور لم يكن سوى "شيطان"، مؤكدا في نهاية المطاف على أنه رأى هذه المعركة عن كثب بكل ما تحمله من أسرار، ولكنه لن يخبر أحدا، ليذكر بعدها مباشرة قصة هجرته من العراق واصفا نفسه بالعصفور، مستخدما رمز الغابة لوطنه:

"ما الفرق،

إذا كان العصفور، حتى وهو ينقل أعواد سريره إلى خارج الغابة، يغني الغابة؟" (فنجان، ٢٠٠٩: ص ٢١)

فالعصفور رغم تركه لوطنه، ولكنه مازال يحن إليه، ولولا هذه الإجبار على الهجرة، لما ترك وطنه بالتأكيد. وكأي إنسان سَوي، يتمنى فنجان أن لا يرى الحرب والقتل والتفجير، بل يبحث عن السلام والوئام لنفسه ومجتمعه ووطنه، وبالتأكيد البيت والأسرة هما أساس المجتمع (الجمعية، ٢٠٠٥: المادة ٢٩)، وأي تغيير سلبي أو إيجابي في الواقع الخارجي سيؤثر سلبا أو إيجابا على البيت والأسرة، والعكس صحيح أيضا. ومن هذا المنطلق يحاول الشاعر أن يبدل الحرب إلى سلام بادئً إياه من البيت لينتشر في المجتمع كله:

"تعالي ننقل الحرب إلى البيت،

أرميك بوردة،

فينفجر، في وجهك، الصباح.." (فنجان، ٢٠١٦: ص ١٥)

فبرأي الشاعر لكي تنتهي الحروب ويبدأ الوئام المتمثل في "الصباح" يجب أن نبدأ من أصغر مكونات المجتمع وأهمها، أي "البيت"، فإذا تمكنت الأسرة من تربية جيل يحاول أن يبتعد من خوض الحروب، وأن يرى العالم من عين الزهور والورود، أي الحب والجمال، سوف لا نرى حربا في الواقع الخارجي. واستخدم فنجان كأغلب أشعاره أسلوب السرد في هذه القصيدة أيضا، إضافة إلى الأسلوب الرمزي، فذكر البيت والوردة والصباح، كرمز عن التربية الأسرية والجمال والسلام.

٥-٢-١-٠. النضال والشهادة منذ أيام الصبا ومنذ وجوده في مقهى أبيه، امتزجت طينة فنجان بالسياسة، وبدأ نضاله لمقارعة الظلم، الأمر الذي حال دون دخوله كلية الفنون الجميلة في شبابه، وسبّب هجرته من العراق بعدها، ليعيش أعواما طويلة بعيدة عن وطنه، وفقدانه لكثير ممن أحبهم. ولهذا طالما يذكر المناضل من أجل الحرية والسلام أفضل ذكر، ويصف الشهيد في أروع الأوصاف: "العصفور الذي طاف العالم كي ينقل الرسالة، سقط ميتا في الطريق. من القصب الذي نبت حول جثته صنع الرعاة نايا تهم، التي كلما نفخوا فيها من أشواقهم

انطلقت، من ثقوبها، عصافير لا تُحصى، تطوف العالم بحثا عنك، ثم تسقط ميتة، قبل أن تصلك، ليأتي الرعاة، جميع رعاة العالم، ليصنعوا من القصب النابت حول الأجساد نايات، كلما عزفوا اسمك انطلقت من ثقوبها عصافير تطوف العالم، بحثا عنك، كي تنقل إليك الرسالة.." (فنجان، ٢٠١٤: ص ١٥)في بادئ الأمر لن يجد القارئ سوى مقطع عاطفي يسرد قصة إرسال رسالة محب لحبيبته، وقد كُتب في إطار السوريالية التي تتمتع بأجمل أشكال الخيال في نصوصها، وتحديدا في قصيدة النثر. ولكن بالغوص في النص نجد أن خلف هذا القناع السوريالي هناك قصة واقعية تتطرق للنضال والشهادة. فالعصفور هو المناضل الذي لا تحده الحدود، بل يجول العالم ليوصل رسالة الحرية والسلام للجميع، وكلما سقط شهيدا التحق بركب الخلود. ليؤكد على أن الشهادة ليست نهاية الطريق، بل هي بداية لحركة أقوى وأعظم من أجل نيل الحرية والخلاص من أي آفة تحول دون تحقيق السلام في العالم. واتخذ الشاعر رمز الناي للخلود، مستلهما إياه من مواكب جبران خليل جبران، حيث يقول: "أعطني الناي وغنّ فالغنا سر الخلود // وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود" (جبران، ١٩٩٤: ص ٣٨)، وما يدل على هذا الرأي هو مقطع من قصيدة "جغرافيا أخرى للتحليق" والذي يربط فيه الشاعر بين الناي والأبدية (فنجان، ٢٠١٢: ص ٦٦).

ومن جانب آخر فتشير نصوص الشاعر إلى أنه عاش تجربة مريرة إبان حياته النضالية، حيث كان شاهدا على سقوط أصدقائه شهداء على يد الأعداء والظلمة، وهذه التجربة أثرت في تعبيره عن هذا الملمح الواقعي تأثيرا واضحا:

"كم كان قاسيا أن ألمس الجمرة في راحة اليد، ثم أدعي أنها موجة؟

كم كان مؤلما أن ألمّ الصديق الذي تناثر، وأن لا يلّمني إلا عدوي؟" (فنجان، ٢٠٠٩: ص ١٧)

وهذا المقطع هو خير شاهد يدل على صعوبة هذه التجربة، حيث اضطر إلى أن يبتعد عن الأسلوب السوريالي فجأة ليسرد تجربة واقعية بأسلوب واقعي صرف، مستخدما بعض التشبيهات واضحة الملامح كـ"لمس الجمرة"، وكأن هذه الحادثة لا يمكنها أن تكون في قالب سوريالي، أو ستضيع ملامحها الذي كان يود الشاعر إلى وصفها، رغم أنه سرعان ما تدارك الوضع وعاد إلى أسلوبه السائد:"أن أغسل الذكريات بالدمع لئلا تصدأ، وأن أغمس الأسرار بالأسرار، لئلا تبوح" (فنجان، ٢٠٠٩: ص ١٧)ولكن دون جدوى حيث يبقى المقطع الواقعي الذي سرده سردا مباشرا هو المسيطر على أجواء قصيدة "أسرار"، ضمن أولى إنتاجه الأدبي "أفكر مثل شجرة"، فكلما يحاول أن لا يبوح بأسرار تاريخه، تحاول تلك الذكريات أن تجد شقّا في قصيدة ما لتُخرج رأسها ولو للحظات قصيرة، لكي تبوح بتلك الأسرار التي يحاول الشاعر أن يغسلها بين حين وحين بدمع عيونه الذي ينهمر بمجرد مرور تلك الذكرى الأليمة.

٥-٢-١-٠. المنفى وحب الوطن كما ذكرنا سابقا، لهجرة الشاعر والابتعاد عن وطنه أثر في أدبه وشعره، فنراه بين القصيدة والأخرى يتطرق إلى ملامح هذه الهجرة واشتياقه إلى مرابع صباه. وبأساليب عدة، صريحة كانت أو رمزية، مختصرة كانت أم مفصلة، يحاول أن يذكر وطنه. والمقطع أدناه ضمن "حمى الحب" في مجموعته الشعرية الأخيرة "الملائكة تعود إلى العمل"، من الشواهد على هذا الأمر"شع من جسدك نور: غمر المشتاق والغريب، وشمل الليل والصباح وبساتين الطفولة، والشوارع والتظاهرات والمنافي والسجون وحرس الحدود، ثم فاحت التلويحات من النوافذ، ودخل العيد" (فنجان، ٢٠١٩: ص ٢٦) تبدأ الحكاية في هذا المقطع من إشعاع "النور" من جسدها، حيث يرمز "الجسد" إلى وطن الشاعر والنور هو الحرية النسبية التي نالها العراق بعد التخلص من نظام صدام حسين، وهذا النور، أي بشرى الحرية، غمر "المشتاق والغريب"، أي الغريب عن الأوطان والمشتاق إليها في إشارة إلى المهاجرين والمهجرين الذين شاعرنا أحدهم، حيث عاش في المهجر ظلام "الليل" (أي صعوبة الأيام) ونور "الصباح" (أي الأيام الجميلة)يشتاق إلى "بساتين الطفولة"، إلى الطبيعة التي نشأ وترعرع فيها. ويشتاق إلى تلك "الشوارع" التي كان يرتادها في طريقه إلى المدرسة والكلية والعمل، وكانت هي نفس الشوارع التي شهدت تلك "المظاهرات" ضد النظام البعثي منددة بسياساته الغاشمة، وبحروبه المدمرة، وهي التي كانت سببا في أن يضطر إلى الهجرة وترك وطنه والعيش في "المنفى" مودعا "حرس الحدود" بين العراق وإيران بعد أن اعتقل ومرّ بتجربة "السجون ولكن شع نور الحرية أخيرا، وخرج الناس من مخابئهم ولوحوا للحرية "من النوافذ" مرحبين بها، وهكذا "دخل العيد" وعمت الفرحة وحان وقت العودة إلى الوطن، إلى بساتين الطفولة والشوارع الخالية من ظلم السلطة.فيسرد الشاعر في سطرين من هذه القصيدة حكاية طويلة، بداية من نشأته في طبيعة الناصرية، مرورا بانضمامه إلى المعارضة والسجن وأخيرا الهروب من حدود العراق مستقرا في الغربة التي دامت سنوات طويلة منها حلو ومنها مروكل هذا هو مزيج بين الواقعية السياسية والواقعية الاجتماعية التي من ملامحها "النزعة الإنسانية" والتي تشمل حب الوطن والحنين إليه، وحب المرأة وإدراك ألم الشعوب بعيدا عن الشهوات والنزوات.وعندما نترك الملائكة تعود إلى العمل لنتصفح مجموعات الشاعر الأخرى، نرى تصريحا لفنجان في إهداء "كيف تفوز بوردة" يقول فيه أن قصائد هذه المجموعة تتحدث عن الحب والوطن والصداقة (فنجان، ٢٠١٤: ص ٧)، وعندما نمزج بين هذا التصريح

وبحثه عن شجرة يستريح تحت ظلها في المهجر، وقصيدة "يفكرون مثل شجرة" ضمن المجموعة نفسها نكتشف أن الشجرة هذه هي رمز الوطن، وعلينا أن نفهمها من هذا المنظار في قصائده:"كانوا قليلين جدا أولئك الذين أحبوك عن صدق، لدرجة أنك لم تعيري ذلك أهمية ما عندما خرجوا من حياتك بحثا عن امرأة تشبهك، ولم يكن مفاجئا لهم حين عادوا خائبين، فوجدوك وحيدة، وقد تفرق عنك عشاقك الألف؛ مهجورة كنت، مثل شجرة ذابلة.اكتفوا بأن يستريحوا عند ظلالك، فقد كانوا يحبونك ذابلة، اصلا" (المصدر نفسه: ص ١٦)ففي هذه القصيدة يسرد الشاعر قصة امرأة وعشّاقها الذين لم يعرفوا قدرها فتركوها وحيدة وخرجوا من حياتها، وفي تكلمة النص يشبّه المرأة تلك بالشجرة التي يعود إليها العاشق كي يستريح في ظلها، ومن هذا التشبيه ومن خلال ما تحدثنا عنه في قبل سطور حول رمز الشجرة، نكتشف أن المقصود من الشجرة وبالتالي تلك المرأة المنشودة، هو الوطن، الذي تركه أبناؤه ولم يعودوا إليه إلا بعد أن أصبح كشجرة ذابلة.وبهذا المقطع ينتقد الشاعر كل من ترك وطنه باحثا عن الأمن والسلام في وطن آخر _وبمن فيهم نفسه لأنه هاجر مثلهم_ وكأنه يود القول، بأن على المواطن أن يبقى ويتحمل الصعاب ليناضل من أجل تحرير وطنه من العدو الخارجي والظالم الداخلي. ويذكر بأن سبب ذبلان العراق ووجود الاحتلال الأمريكي والإرهاب فيه، هو هروب أبنائه إلى الخارج، وعدم استمرارهم في النضال والكفاح ومحاربة الظلم والفساد.وعودة إلى الشجرة (الوطن) ولكن في قصيدة "أفتقدك" وضمن مجموعته "كمشة فراشات": "أفتقدك، مثل شجرة في العراء ترسل أغصانها في كل اتجاه، بحثا عن طائر ما، ذلك الطائر الغريب، الذي ترك أعواد سريره رهينة ضميرها الأخضر، وسافر وحيدا.." (فنجان، ٢٠١٦: ص ٢٣)فعندما يذكر الشاعر وطنه، لا يمكنه أن ينسى تلك التجربة المريرة التي عاشها في المهجر والغربة، حيث كانت من أصعب أيام حياته، وكأن الأمرين توأمان، وهكذا يبدأ بسرد قصة "الطائر الغريب" الذي "ترك أعواد سريره" وابتعد عن وطنه وأهله وأرضه "وسافر وحيدا". ولكنه يرى بأن هذا الشوق نحو الوطن هو شعور متبادل، فالوطن أيضا يشتاق لأبنائه ويفتقدهم ويتمنى عودتهم ويذبل في فراقهم. الوطن يحتاج الشعب، كاحتياج الشعب له، الوطن يحب أولاده كحبهم له، وربما أكثر.وبين هذا الاشتياق والحب، وبين جمال الوطن الذي يشبه الشجرة، تبقى تجربة الغربة والمنفى، تلك التجرة المرة، هي سيدة الموقف وهي التي تظهر بين الحين والآخر في طيات نصوصه وبين سطور قصائده:

"أسكرني خمر التشرد،

تعتني المنفى، وها أني أترنّح بين السبل:

صرت قلما لا يبري إلا نحافته.

صرت خيطا لا يرتّق الشقوقَ في ثياب أفكاره. صرت سياجا، لا يهدم إلا نفسه.

صرت أسلاكا شائكة، يخاف الريش أن يوقظ مخالبها بحفيف مروره.

لا أعرف مَن كنتُ ..." (فنجان، ٢٠١٢: ص ٢٠)

وهذا هو وصف حاله في الغربة، حيث يرى نفسه متشردا بين البلدان والمدن، والمرض قد أحاط به كالمبراة حينما تحيط بالقلم وتأكل منه رويدا رويدا، ولهذا أصبح نحيفا وضعيفا. لقد بدأ يهدم نفسه بسبب معاناته النفسية في الغربة بعيدا عن الوطن والأهل، بل وأصبح كالسلك الشائك يخيف الآخرين فلن يقتربوا منه، ولهذا أصبح منعزلا عن العالم الخارجي، منزويا في بيته، غارقا في سوريالية الخاصة، ولأنه نسي ماضيه، وجد لنفسه مدينة جديدة للاستقرار، كركوك. فهذه القصيدة هي مرآة لسيرته، وتتماشى مع كل ما ذكرناه في المباحث السابقة بشأن حياته.

٥-٢-١-٠. أحداث العراق ما بعد ٢٠٠٣بعد سقوط نظام صدام حسين سنة ٢٠٠٣، عاش العراق أجواءً من التعارض، فمن جهة تخلص من البعث وما أحاط به من قمع وقتل ورأى نور الحرية، ولكن في الوقت نفسه لم تكن حرية كاملة، بل كانت هي الأخرى ممزوجة بوجود القوات الأمريكية والمجاميع الإرهابية والمليشيات الخارجة على القانون. وبمراجعة مجموعات عبد العظيم فنجان الشعرية نجده قد تطرق لأكثر هذه الملامح والأحداث، والتي جمعناها في هذا المبحث تحت عنوان "العراق ما بعد ٢٠٠٣".حاول الشاعر أن يذكر هذه البرهة الزمنية وما فيها، بطرق عدة، فمرة اكتفى بالوصف المجرد، وأحيانا وجّه النقد لمن لهم دور في هذه الظروف، وأحيانا أخرى وصفها وصفا أدبيا ممزوجا بمشاعر المجتمع في تلك المدة الزمنية، ولكن غلب عليها أسلوب السرد والمونولوج كغيرها من قصائده وأشعاره:"تتسللين عبر الأسلاك الشائكة، تخترقين المفخخات، الجواجز، ومنع التجوال" (المصدر نفسه: ص ٨٤)فكل ما ذكره الشاعر في هذا المقطع هي علامات دالة تشير إلى عراق ما بعد ٢٠٠٣ ويحفظها العراقي عن ظهر قلب، حيث ملأت "الأسلاك الشائكة" و"الحواجز" شوارع بغداد والعراق، كي تحد من عدد "المفخخات" التي كانت تأكل الضحايا من كل القوميات والمذاهب كل يوم، على رغم وجود "منع التجوال" الذي فرضته الحكومة والقوات

الأمنية في ساعات طويلة من الليل والنهار، وكل ذلك بسبب وجود المجموعات الإرهابية من بقايا البعث والقاعدة وداعش وغيرهم من أعداء هذا الشعب العريق.وأما القاعدة فهي تلك المجموعة الإرهابية التي بدأت نشاطها في أفغانستان، وانتقلت من هناك إلى بلدان مختلفة منها اليمن والمملكة العربية وشمال أفريقيا. وبدأت نشاطها في العراق منذ سنة ٢٠٠٤ (ليستر، ٢٠١٦: ص ٧)، وداعش مجموعة أكثر إرهابا فاقت القاعدة في ذلك، وإنها ظهرت كفرع من القاعدة بداية _كغيرها من المجموعات كجيش النصرة وبوكوحرام_ ولكن ما لبثت حتى انشقت منها لأسباب تنظيمية وفنية (جرجس، ٢٠١٦: ص ٦٠). ولكن كل هذه المجموعات بمختلف أسمائها وأشكالها تنبثق من فكر واحد وتنهل من مشرب واحد، وعاثت جميعها في الأرض فسادا، وأبرز نشاطها هو القتل والتفجير والتهجير والنهب والسلب اشتهرت هذه المجاميع بعدة أمور، منها: راياتهم السود، وحياتهم الليلية كالوطاويط، وتدمير المدن وخرابها، ولهم أساليب خاصة في القتل والسب، من أشهرها يمكن الإشارة إلى أسلوب الإعدام عندهم، وهو الذبح وقطع الرأس (ليستر، ٢٠١٦: ص ٤ و٢٠):

"هنا رأس يتجول في العراء.
هنا رأس يطرقه زوار آخر الليل:
يسلبونه الأغاني، ويطلقون وطاويط في مراياه.
هنا رأس تنشب داخله معركة، وجيوش
تنسى راياتها بين أطلاله.
هنا رأس يتناسل فيه الاضطراب.
هنا رأس تطل عليه خرائب مدن شاحبة، تتسول
تجاعيدها من المارة.
هنا رأس تنطق فيه خطى امرأة تائهة،
وطائر أسود يسرق أقراطها.
هنا رأس
الحبيبات يجلسن قبالته،
ويزغردن لطفل مخبوء فيه.." (فنجان، ٢٠٠٩: ص ٣٦)

يسرد الشاعر من خلال هذا المقطع من قصيدة "سبع أغان من أجل أغنية" حكاية رؤوس، ورغم أنه لم يذكر بأنها مقطوعة، ولكن لا يصعب على القارئ معرفة ذلك، حيث يكرر ذكرها مفردة، دون أي تطرق لأجسادها، ودون دلالة لوجود الحياة فيهايزور هذه الرؤوس "زوار آخر الليل"، هؤلاء الذين يحاربون "الأغاني" ويعيشون حياة تشبه حياة "الوطاويط"، بعد أن يعود بالذكريات إلى الماضي حيث كانت هناك "معركة وجيوش"، تلك المعارك التي سببت "خراب المدن". ولكن من هو الذي كان يقود تلك المعارك التي تطايرت فيه الرؤوس وتهدمت المدن؟ من هم هؤلاء الوطاويط الذين لا يمكنهم رؤية الشمس في النهار، وحياتهم مظلمة؟هنا يجيب الشاعر على هذا السؤال، ولكن لا يذكر اسمهم بصراحة، بل يتخذ رمز "الطائر الأسود" لهم ولكي يثبت بأنهم على باطل، وبأنهم يختلفون عن ذلك الطائر الذي كان يرمز به للمناضل والمهاجر، يكمل بأن هذا الطائر "يسرق أقراط النساء". وبعد هذه الأوصاف، نجد بأن المجرم في هذا المقطع لم يكن سوى "القاعدة" التي قطعت الرؤوس ونهبت وسلبت واغتصبت وحاولت أن تنشر الظلام في العراق وغيرها من البلدان. وبالتأكيد لم يكن المقصود "داعش" رغم أن هذه الأوصاف من سماتهم أيضا، وذلك لسبب بسيط، حيث إن هذه المجموعة الشعرية لفنجان نُشرت سنة ٢٠٠٩، أي قبل مجيء داعش.

قلنا بأن العراق عاش في زمان صدام فترة مظلمة مملوءة بشتى أنواع القمع والتعذيب والتهجير في ظل إرهاب السلطة، ولكن بعد ٢٠٠٣ ورغم وجود حرية نسبية والتخلص من ذلك النظام المجرم، لم ير العراقي الأمن والأمان التام، ولهذا يقول الشاعر "كل يوم أشيع عصفورا":

"ماهر في التسلل إلى الخطر من مسام منع التجوال، وفي الوقوف ضد حياتي.
عندما أذهب إلى وظيفتي أعرف أن الصباح لا وجود له إلا في نشرة الطقس.
أنتظر أن أموت تحت الشجرة التي تفكر فيك،
الحب معي، وضدي، هي هوايتي الوحيدة.

أرمي على اللا أحد إطلاقاتي، وكل يوم أشيّع عصفورا يسقط قتيلا

هيأت عنقي إلى المشنقة، وأحببتك." (فنجان، ٢٠١٢: ص ٩٦_٩٨)

والسطور أعلاه هي مقاطع متناثرة جمعناها من قصيدة سوريالية بامتياز تحاول أن تتقمص مظهر الحب والعاطفة بملامح رومانسية. ولكنها في الواقع تصف فترة بعد ٢٠٠٣ وصفا دقيقا، حيث شهد العراق ساعات طويلة في الليل والنهار "يُمنع فيه التجوال"، والخروج إلى الشوارع كان يسبب "فقدان الحياة"، فإما تُقتل على يد المجموعات الإرهابية التي لا يهمها سوى أخذ الضحايا، وإما تُقتل على يد القوات الأمنية بتهمة الإرهاب.وأما "الصباح" فهو رمز للحرية من جهة وللأمان من جهة أخرى، فلذا لا يجده الشاعر عندما يذهب إلى "وظيفته" في بداية النهار. ففي تلك الفترة كان كل عراقي يودع أهله قبل الخروج من البيت، وداع الذي سوف لن يعود أبدا، منتظرا أن تأخذه في أي لحظة طلقة طائشة أو شظية مفخخة أو نار معركة بين جهات مجهولة"أعرفك مثل إطلاقة طائشة، لا تصيب أحدا من الأعداء، وتذبحني.." (فنجان، ٢٠١٦: ص ٦٧)وكل هذه الأحداث المؤلمة في وطنه الذي طالما اتخذ الشاعر من "الشجرة" رمزا له في كثير من قصائده."كل يوم أشيع عصفورا" هي قصيدة حرب على رغم ظاهرها الذي يحي بأنها قصيدة حب، أو بالأحرى هي قصيدة حب في زمن الحرب. وهي تصف الموت المجاني على الهوية الأمر الذي كان شائعا في بغداد أيام كتابة هذه القصيدة وتنتهي بمشهد إعدام، وهو ليس إعدام معنوي: "هيأت عنقي إلى المشنقة وأحببتك"، بل هو إعدام حقيقي، هو تصفية جسدية (الباسم، ٢٠١٨). لكل الأطياف والقوميات والمجموعات العراقية.

٥-٢-١-٠. القضية الفلسطينية عند مراجعة مجموعات عبد العظيم فنجان الشعرية ودراستها لم نجد له اهتماما صريحا وكبيرا بقضايا العالم العربي والإسلامي، بل جل اهتمامه موجّه لما يدور في وطنه ومجتمعه، ولكن رغم هذا هناك بعض الإشارات العابرة إلى قضية فلسطين وما يدور في هذا البلد المحتل، ومنها ما نجدها في "افتح يا سمسم" ضمن مجموعته الثالثة "الحب حسب التقويم البغدادي"، أو كما يسميها في لقاءاته "الحب حسب تقويم الحروب":"لا أعرف عن الحضارات إلا كيف تستقبل الشعوب قاتليها بالحجارة، ولم أنس أن الغابات تدخر شكل أشجارها، في ذاكرة الربيع، لئلا ينقرض التبرعم من جذورها." (فنجان، ٢٠١٢: ص ٢١)ففي هذا المقطع القصير، يتطرق الشاعر من خلال رمز الحجارة لقضية فلسطين، ففي التاريخ تشتهر الانتفاضة الفلسطينية بثورة الحجارة، والحجارة في كثير من النصوص الأدبية واللوحات الفنية، هي رمز للشعب الفلسطيني وقصة نضالهم. ويؤكد بأن مَن يُرمى "بالحجارة" _أي الصهاينة_ هم القتلة، و"الشعب" الحقيقي لتلك الأرض _أي الفلسطينيون_ هم الذين يرمون الحجارة تلك. ومن جهة أخرى فيبشر بقدوم "الربيع" ويرى بأن هذا النضال والكفاح من أجل الحرية هو الذي سيسبب عدم انقراض الأمل المرموز في "البراعم"، وستضحى فلسطين حرة وجميلة كـ"الغابات"، وذلك مهما طال الشتاء.

٥-٢-١-٠. القيم الإنسانية من أهم المعايير التي تميز بين المجتمع الجيد والسيء، هي القضايا الأخلاقية، فالأخلاق الحميدة تصنع مجتمعا سليما، والرذائل الأخلاقية هي التي تسبب انحطاط المجتمعات وتفشي الجرائم. ومما قام به النظام البعثي في العراق هو تدمير القيم الإنسانية والفكرية والأخلاقية، لأن السيطرة على شعب عديم المبادئ أسهل بكثير من السيطرة على المثقف والمفكر، وبالتأكيد أصحاب المبادئ لا يمكنهم أن يتعايشوا في مجتمع دون قيم ودون أخلاق، ولذا يضطرون إما للهجرة والهرب وإما للعزلة والانطواء على ذاتهم. وفي إشارة إلى هذا الواقع المبكي في عراق البعث يقول فنجان:

"أريد أن أعود سليم القلب،

كما في الطفولة،

فلست جميلا كما ينبغي.

لا أريد أن تحبينني وأنا محشو بالقتلى.

أخاف، أخاف

أن تحملي مني وحشا.." (المصدر نفسه: ص ٤٤)

فيتمنى الشاعر أن تعود الأخلاق الحميدة إلى "قلب" شعبه ليتعافى و"يعود سالما" كما كان سابقا، ويستخدم رمز "الطفولة" في إشارة إلى الماضي من جهة وإلى البراءة والطيبة والصفاء من جهة أخرى، ويؤكد على أن صاحب القلب الذي يمتلئ بالحقد والظلم والكذب وغيرها من الرذائل، يصبح سيئا وقبيحا، ويعترف بأنه كنموذج عن شعبه لم يكن "جميلا" لهذا السبب. ويُكمل سرده واصفا ذاته التي امتلأت بالفضائل المقتولة التي لا يبقى منها سوى أشلاء مبعثرة، وينهي حديثه بجملة مؤثرة: "أخاف أن تحملي مني وحشا" فمن لا يتصف بالصفات والسمات الحسنة، لا يمكنه أن ينجب إنسانا سويا وسالما، بل سيكون الجيل المستقبل جيلا أشبه بالوحش، إن لم نتدارك الأمر ونصحح الأخطاء

الموجودة فينا.ومن الرذائل الأخلاقية وأحد أسباب التخلف في مجتمعاتنا هو استغلال الآخرين للصعود إلى مكانة أعلى، فبدلا من السعي للتطور، يحاول الشخص جاهدا أن يستغل جهود الآخرين ويصعد على أكتافهم. ويحاول الشاعر أن يصور هذه الآفة الاجتماعية من خلال قصيدة "المتاهة" ضمن مجموعته "أفكر مثل شجرة":

"رجل يتسلق سلما،
وهو يحمل على كتفيه سلما يتسلقه رجل آخر.
وهناك رجال يتسلقونها، وعلى أكتافهم سلالم.
السلالم تؤدي إلى سلالم:
متاهة تنفتح على متاهة،
والأمل
هو العثرات." (فنجان، ٢٠٠٩: ص ١٥)

في هذه القصيدة أيضا عبر الشاعر عن نواياه بأسلوب السرد مستخدما الرموز، فـ"السُلّم" هو الجهود التي يبذلها الشخص ولكن تُستغل من قبل شخص آخر، و"المتاهة" هي المستقبل المظلم للمجتمع بسبب هذه الآفة التي تحيط ببلداننا ومجتمعاتناويود فنجان القول إن من يستغل جهود الآخرين للصعود، سوف يتم استغلاله من قبل جهة ثالثة، وهكذا تستمر الحياة وكأنها متاهة كبيرة تضيع فيها الجهود ولذا لا يرى المجتمعُ النجاحَ والتطور. وبدل أن يحاول الفرد أن يأخذ حقه ممن استغله يبقى منتظرا لعل المتسلق على كتفيه يعثر ويفسح له المجال للنمو، حيث لا نمو مع ثقل أكثر من طاقتك على كتفيك. فإذا يريد المواطن أن يتطور فعليه أولا أن لا يستغل جهود الآخرين، بل يبذل الجهد للوصول إلى الغاية، وأن يطالب بحقه المنهوب من قبل الآخرين ثانيا. وهكذا سوف ينعم المجتمع بالنمو وبالتطور وبمستقبل مزهروإضافة إلى ما قيل لكي نصل إلى التطور المنشود فعلينا أن نساعد بعضنا البعض، وأن نكون مرآة لزملائنا وأصدقائنا ومن حولنا، مرآة تكشف نقاط قوتهم وتظهر لهم نقاط ضعفهم. تكشف الجمال فيهم كما ترى القبح. فمن هذا المنطلق قال رسول الله (ص): "إن أحدكم مرآة أخيه" (السيوطي، ١٩٩٧: ص ٣٣٣) واستنادا لهذا المبدأ يقول فنجان:"مرة أخرى نتقابل أمام مرايا لا تعكس أحدا" (فنجان، ٢٠١٢: ص ٤٥)فأمسى مجتمعنا لا يهتم بالآخر، ولا يرى إلا نفسه، رغم أن المجتمع لا يكون مجتمعا إلا أن يكمّل بعضنا الآخر، ونحاول أن نجد الخلل لنصححه، ونجد المنفذ للتطور ولا نتركه إلا أن ندخل منه. ولكننا ابتعدنا عن غاية المجتمع الإنساني والبشري، وكأننا نعيش في غابة يفترس القوي الضعيف. ونسينا بأن الشخص إن لم يكن مرآة لأخيه، سوف لا ينمو المجتمع، والمجتمع الراكد لا يختلف عن الميت شيء:

"مرة أخرى نلتقي في مرايا، لا يعرف فيها أحد أحدا.
إذاً، فالموت لا زال جادا بسعيه" (المصدر نفسه: ص ٤٩)

وهذا ما يؤكد عليه عبد العظيم فنجان في قصيدة "سلة رحيق" ويقول بأن المجتمع إذا أراد الحياة فيجب أن يهتم بالآخر، أن يكون مرآة له، أن يكون عونا له، وأن ينسى الأنانية والفردية، محاولا بناء مجتمعا سالما يزهو بالحياة والأمل.

٥-٢-١-٠. حرية المرأة إن إحدى الملامح التي يتم مناقشتها ضمن الواقعية الاجتماعية، وخاصة في بلد مثل العراق، هو ما يتعلق بحرية المرأة في ظل القبيلة والعشيرة وتقاليدهما وعاداتهما، حيث لهذا الموضوع دور مهم في المجتمع والقانون (الجمعية الوطنية، ٢٠٠٥: المادة ٤٥). وعند مراجعة هذه العادات والتقاليد نجد بعضها _إن لم نقل كثيرا منها_ هي منافية للتعاليم الإسلامية وحتى لحقوق الإنسان، مما يدعو الأديب إلى نقدها والنيل منها:"وهي منهمكة بالكتابة عن الحب، العدالة وحرية الزواج، فيما أنت، في زاوية غرفتك، [...] دمعة أكبر حجما من العالم تسقط، فجأة [...] فيجرف صور القبيلة، السوط، الأقفال والمفاتيح، ثم يخلع الكتب من الرفوف، فينكشف الهيكل العظمي للأفكار [...] ينكفئ الحبر على التقاليد والأعراف، ويهز الإعصار شجرة العائلة، فتتهشم الأغصان" (فنجان، ٢٠١٦: ص ٤٥)يذكر فنجان "الحب" و"العدالة" و"حرية الزواج"، حيث هذه القضايا الثلاثة هي أقل اهتماما بين العادات القبلية، بل وهي أكثرها ظُلامة، وضحيتها هي بناتهم. لينتقل إلى الدمعة التي تتساقط من عيون فتيات القبيلة في إشارة إلى الحزن الذي يملأ قلبهن إثر حبسهن في الغرف التي تُشاهَد "الأقفال" على أبوابها، وإثر الألم الذي سببه ضربهن بـ"السوط". وكل هذا لا لشيء إلا أن أبناء القبيلة وشيوخها يؤمنون بـ"أفكار" قديمة أكل الدهر عليها وشرب ولم يبق منها في العالم سوى "الهيكل العظمي" لها. حيث هذه الأفكار لا يقبلها القانون ولا العرف ولا الشريعة و"الكتب" السماوية.ولذا يتمنى الشاعر أن تُمحى هذه "التقاليد والأعراف" كما تُمحى الكلمات من الورقة بعد أن "ينكفئ الحبر" عليها، ويرجو أن لا يبقى أثرا لعائلة

تؤمن بهذه الأفكار كما لا يبقى أثر لـ"شجرة" "هزّها الإعصار" و"تهشمت أغصانها"ويستمر في نقده اللاذع لكل من يؤمن بهذه التقاليد والأعراف، وحتى يعتبر الأم التي لا تقف إلى جانب ابنتها ضد الأعراف الخاطئة، هي أم غير صالحة لا تستحق مكانة الأمومة:

"يصفعونكِ في البيت،
فأسقطُ بدلا عنك، في الشارع.
أما أمك فلن يغفر لها الشعر،
وستفر الجنة من تحت أقدامها نحو الشيطان، لأنها تراني، عندما تبكين، طافرا من بين دموعك، فلا تحرك ساكنا.
تطبخط وجبة من تعاليم،
وتبني من صفعاتها على خديك،
مطبخا تأكلك فيه العائلة.." (فنجان، ٢٠١٢: ص ٨٩)

يرى فنجان بأن "البيت" الذي تسود فيه عادات وتقاليد خاطئة وسيئة هو أكثر قسوة من "الشارع" وبدل أن يكون ملاذا آمنا للفتيات يصبح الوحش الذي يفترسهن. وأما الأم التي تكن يدا ضاربة لمثل هذه "العائلة" وتحاول أن تغذيها بتلك التعاليم الخاطئة، فهي أسوء من "الشيطان"، فلذا تفر الجنة من تحت قدميها وتفضل أن تذهب إلى الشيطان بكل مساوئه ولؤمه وعدائه، لأن مثل هذه الأم لا تستحق أن تكون مصداقا للحديث القائل "الجنة تحت أقدام الأمهات"وعلى كل حال فعاش عبد العظيم فنجان أياما صعبة أثرت على أغلب ما كتبه، واقعيا كان أم سوريالية أو رومانسيا، ولذا نرى طابع الحزن المسيطر على قلمه ولقاءاته:

"الأيام التي تجرّ وراءها سلسلة طويلة من الأيام،
وصلت." (فنجان، ٢٠٠٩: ص ٨)

وهذا النص خير دليل على صعوبة الأيام التي شهدها الشاعر، حيث الأيام الصعبة تمر ببطئ، ولكن الأيام الجميلة تمر بسرعة.

٥. النتائج

- رغم كون عبد العظيم فنجان شاعرا سوريالية بامتياز، واتبع الأساليب السوريالية بحذافيرها، ولكنه لم يستطع أن يعزل نفسه عن المجتمع والواقع.
- لم يستخدم فنجان أشكالا تعبيرية كثيرة، بل حصر أدبه ضمن السرد والمونولوج فقط مستخدما الرمز الذي هو أساس السوريالية.
- في ملامح الواقعية السياسية لن يقدم فنجان الحلول وغالبا ما لن نرى في قصائده الأمل بشأن المستقبل، بل يقدم سردا وصفيا وكأنه يريد أن يُسجل تلك الأحداث في التاريخ.
- في الملامح الاجتماعية ينقد الشاعرُ المجتمعَ نقدا لاذعا، ومن الواضح أن هذه القضايا تهمه كثيرا وهي التي من أجلها يحاول الكتابة.
- إن عبد العظيم فنجان في الجمع بين السوريالية والواقعية ينظر من منظر الإنسان بما هو وهم وعقل، وإحساس وتعقل، فبقلبه يصور عالم اللا شعور وما فيه من آلية وجنون وأحلام، وبعقله يرى الواقع ويتأمل في وقائع العالم الخارج وما يجري فيه من المصائب والفجائع ويربط بينهما.

٦. المصادر والمراجع

٦.١. الكتب

١. أبو خليل: شوقي، ٢٠٠٣ م، أطلس دول العالم الإسلامي، ط ٢، دمشق: دار الفكر.
٢. أدونيس: ١٩٩١ م، الصوفية والسوريالية، لندن: دار الساقي.
٣. أدونيس: ١٩٨٦ م، زمن الشعر، بيروت: دار الفكر.
٤. بيتروف: س، ٢٠١٢ م، الواقعية النقدية في الأدب، ترجمة: شوكت يوسف، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.
٥. جبران: جبران خليل، ١٩٩٤ م، المواكب، بيروت: نوفل.
٦. جرجس: فواز، ٢٠١٦ م، داعش إلى أين جهاديو ما بعد القاعدة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٧. الجمعية الوطنية العراقية، ٢٠٠٥ م، دستور جمهورية العراق، بغداد: المعهد الديموقراطي الوطني.
٨. الخطيب: عماد سليم، ٢٠٠٩ م، في الأدب الحديث ونقده (عرض وتوثيق وتطبيق)، عمان: دار المسيرة.
٩. السيوطي: عبد الرحمن، ١٩٩٧ م، الجامع الصغير، ج ١، بيروت: دار الفكر.
١٠. شلبي: عبد العاطي، ٢٠٠٥ م، فنون الأدب الحديث (بين الأدب الغربي والأدب العربي)، الإسكندرية، مصر: المكتب الجامعي الحديث.
١١. فضل: صلاح، ١٩٩٥ م، أساليب الشعرية المعاصرة، بيروت: دار الآداب.
١٢. فضل: السيد، ١٩٨٩ م، نقد القصيدة العربية، الإسكندرية، مصر: منشأة المعارف.
١٣. فضل: صلاح، ١٩٨٠ م، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، القاهرة: دار المعارف.
١٤. فنجان: عبد العظيم، ٢٠٠٩ م، أفكر مثل شجرة، بيروت: منشورات الجمل.
١٥. فنجان: عبد العظيم، ٢٠١٢ م، الحب حسب التقويم البغدادي، بيروت: منشورات الجمل.
١٦. فنجان: عبد العظيم، ٢٠١٣ م، الحب حسب التقويم السومري، بيروت: منشورات الجمل.
١٧. فنجان: عبد العظيم، ٢٠١٤ م، كيف تفوز بوردة، بيروت: منشورات الجمل.
١٨. فنجان: عبد العظيم، ٢٠١٦ م، كمشة فراشات، بيروت: منشورات الجمل.
١٩. فنجان: عبد العظيم، ٢٠١٩ م، الملائكة تعود إلى العمل، عمان: الآن ناشرون وموزعون.
٢٠. قاسم: عدنان حسين، ٢٠٠٠ م، الإبداع ومصادره الثقافية عند أدونيس، مصر: الدار العربية للنشر والتوزيع.
٢١. ليستر: تشارلز، ٢٠١٦ م، التنافس الجهادي الدولة الإسلامية تتحدى تنظيم القاعدة، الدوحة، قطر: مركز بوكنجز.
٢٢. ميشيل: كاروج، ١٩٧٣ م، أندريه بريتوون والمعطيات الأساسية للحركة السريالية، دمشق: وزارة الثقافة.

٦-٢. الرسائل الجامعية

١. خمخام: أسماء، ٢٠١٦ م، الواقع والحلم في ديوان أوراق الزيتون لمحمود درويش (رسالة ماجستير)، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر.

٦-٣. المجلات العلمية والمحكمة

١. أمين مقدسي: أبو الحسن، وإدريس أميني (خريف ٢٠١٣ م) "ملامح السريالية في شعر أدونيس، كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل نموذجا" مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٢٨، إيران، صص ١_٢٣.
٢. برويني: خليل، والسيد حسين حسيني كوشكي (آذار ٢٠١٨ م) "المدرسة السريالية ومبادؤها دراسة نقدية من رؤية إسلامية" فصلية إضاءات نقدية المحكمة، السنة ٨، العدد ٢٩، إيران، صص ٤١_٧٢.
٣. سعدون زاده: جواد (خريف ١٣٨٨ ش) "مظاهر أدب المقاومة في شعر أحمد مطر"نشرية ادبيات پايداري، السنة ١، العدد ١، جامعة شهيد باهنر، كرمان، صص ٥١_٦٩.
٤. الطيب: بودربالة وجاباالله السعيد (فبراير ٢٠٠٥) "الواقعية في الأدب" مجلة العلوم الإنسانية، العدد ٧، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، صص ١_١٤.
٥. مرعي: محمد سعيد (نيسان ٢٠٠٧) "الحوار في الشعر العربي القديم "مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٤، العدد ٣، صص ٦٠_١٠٢.

٤-٦٠. الدوريات والصحف

١. الأسدي: فرزدق (خريف ١٣٨٨ ش) "چون يك درخت مي انديشم" في مجلة شعر، العدد ٦٧، إيران، صص ١١١_١١٧.
١. بن حمزة: حسين (٢٦ كانون الثاني ٢٠١٠) "شاعر المتاهة والقلق" في صحيفة الأخبار، العدد ١٠٢٨، بيروت، ص ١٨.
٢. عبد الكريم: لميس (٨ أيلول ٢٠١٦) "الشاعر الذي نكتشف معه قدرتنا على الطيران" في صحيفة الجورنال، العدد ١٨٩، بغداد، ص ٨.
١. المدى (١٨ كانون الثاني ٢٠١٤) "بيت الشعر العراقي يحتفي بالشاعر عبد العظيم فنجان" في صحيفة المدى، العدد ٢٩٨٣، السنة ١١، بغداد.

٦-٥. المواقع الالكترونية

١. الباسم: محمد (٢٠١٨) "حوار مع عبد العظيم فنجان" في موقع عين العراق نيوز، بغداد، روجعت في ٢٦ مارس ٢٠١٨، http://aynaliraqnews.com/index.php?aa=news&id22=95199

٢. جوان: حسن (٢٠١٤/٤/١٦) "حوار مع عبد العظيم فنجان " في موقع صحيفة الصباح، بغداد، روجعت في ٢٣ مايو ٢٠١٨.
٣. الفواز: علي حسن (٣ أغسطس ٢٠١٥) "عبد العظيم فنجان الشاعر قد يفكر مثل شجرة" في موقع صحيفة القدس العربي، روجعت في ٢٦ مارس ٢٠١٨، http://www.alquds.co.uk/?p=381474
٤. قيس: سجى (٢٠١٤) "عبد العظيم فنجان برفقة همهمات" في نشرة همهمات الالكترونية، روجعت في: ٢٠١٨/٣/١٦. http://www.hmhmat.com/finjanoo

هوامش البحث

١. "قوت القلوب" هو كتاب من تأليف "أبي طالب المكي" في التصوف.